القبـــلة

بقلم الأديب أحمد بدران

«قصة ملخصة عن أنطون تشيكوف»

في الساعة الثانية من مساء العشرين من مايو ، كانت ست فرق من المدفعية في طريقها إلى معسكراتها ، فتوقفت لقضاء الليل في قرية « مستشكو » وبينما كان بعض الضباط منشغلين ببنادقهم وآخرون قد تفرقوا في الميدان يستمعون لأوامر القيادة العليا . أقبل فارس بملابس مدنية من وراء الكنيسة واقترب من بعض الضباط وقال وهو يرفع قبعته « إن صاحب السعادة الجنرال فون رايك المقيم هنا يسره أن يدعوكم لتناول الشاي » ثم رفع قبعته مرة ثانية ومضى وراء الكنيسة .

وزمجر بعض الضباط « عندما يرغب المرء أن يأوي إلى فراشه يأتي هذا الفون رايك ودعوته . إننا نعرف معنى ذلك » وتذكر كل ضابط من الفرق الست حادثة وقعت لهم في العام الماضي أثناء المناورات عندما دعوا هم وضباط إحدى فرق الفرسان لتناول الشاي وكيف قابلهم الكونت بحفاوة فائقة وأصر على أن يقضوا الليل في منزله . وكان هذا منه جميلا . ولم يكونوا يرغبون في أكثر من ذلك . لولا أن الكونت كان شديد الاغتباط بصحبة هؤلاء الشبان فظل حتى مطلع الصبح وهو يثقل عليهم بحوادث ماضيه السعيد ويقودهم من حجرة لأخرى ليريهم صوره الثمينة ولوحاته النادرة ، ويقرأ عليهم خطابات تلقاها من مشاهير الرجال . وكان الضباط المنهكين يشاهدون ويستمعون وهم في شوق إلى مضاجعهم . وظلوا يخفون تثاؤبهم وراء أكفهم وعند ما تركهم مضيفهم في النهاية كان الوقت متأخراً جداً للنوم .

هل يختلف فون رايك عن ذلك ؟ على أي حال لم يكن بد أن يغتسل الضباط ويرتدوا ملابسهم ويذهبوا إلى منزل الجنرال وكان في المقدمة لوبنكو الملازم وهو طويل القامة عريض المنكبين حليق الشارب في الخامسة والعشرين رغم أنه يبدو أصغر من ذلك . له شهرة في كل السلاح أنه يحس وجود المرأة في أي مكان عن بعد ، وتلفت حوله ثم قال « نعم إني واثق أن هناك بعض النساء ، إنني أحس ذلك بالسليقة » وعلى باب المنزل قال فون رايك الضباط بنفسه وكان رجلا وجيهاً في الستين يرتدي ملابس مدنية ، وقال وهو يصافح ضيوفه أنه يسره ويسعده أن يلقاهم وسألهم المعذرة إذ لم يدعهم لقضاء الليل إذ حضرت أختاه وأولادهما وأخواه وبعض الجيران ولذا ليس هناك حجرة واحدة خالية ، وقد لاحظ الضباط أن الرجل ليس شديد الاغتباط بوجودهم ويبدو أنه ما دعاهم إلا مراعاة لآداب اللياقة . وفي حجرة الاستقبال قابلتهم سيدة طويلة بوجه بيضاوي وحواجب كثيفة تشبه « الامبراطورة أوجيني ! » ورحبت بهم بابتسامة أنيقة . ولما دخل الضباط حجرة المائدة وجدوا مجموعة من الرجال والسيدات مختلفي الأعمار جالسين في ناحية من المائدة يتناولون الشاي . ومن خلف مقاعدهم كانت مجموعة من الرجال تحيطهم هالة من دخان السجاير ومن وراء هذه المجموعة كانت تبدو خلال الباب غرفة أخرى ناصعة الإضاءة مؤثثة بأثاث أزرق فاتح ، وقال الجنرال بصوت مرتفع متكلفاً المرح « أيها السادة إنكم من الكثرة بحيث يستحيل أن أتولى تقديمكم فلتقدموا أنفسكم بطريقة عائلية » . وانحنى الضباط وبعضهم يتكلف الرزانة والبعض يغتصب ابتسامته وكلهم يشعر بعدم الراحة ، وجلسوا إلى المائدة ، وكان أشدهم قلقاً الضابط ريابوفتش وهو رجل قمحي بوجه يشبه وجه القط وشواربه مهدلة ويضع على عينيه نظارات ، وكان لا يستطيع أن يركز اهتمامه في شيء معين . فقد كانت الوجوه والملابس وزجاجات الخمر كلها تختلط في إحساس واحد مضطرب كأنه محاضر يواجه المستمعين لأول مرة ، وكان يرى الأشياء أمام عينيه لكن لا يدرك منها شيئاً (تلك حالة تعرف في الفسيولوجيا باسم العمى النفساني !) . ثم عاد إلى نفسه وأخذ ينظر فيما حوله . ولما كان خجولا ولم يعتد ارتياد المجتمعات فقد أدهشته جرأة معارفه الجدد ، فون رايك وزوجه وسيدتين كبيرتين وفتاة في ثوب بنفسجي وشاب في بذلة حمراء تبين أنه ابن رايك الأكبر ، هؤلاء وزعوا أنفسهم بمهارة بين المدعوين وبدءوا نقاشاً لا يستطيع الضيوف إلا أن يشتركوا فيه ، بينما تراقب عيونهم الأطباق والأكواب ليروا أن الضيوف يأكلون ويشربون ، وازداد ريابوفتش تقديراً لهذه الأسرة .

وبعد تناول الشاى انتقل الضباط إلى حجرة الجلوس ، ولم تخب فراسة اللازم لوبنكو فقد كان هناك الكثير من الفتيات والسيدات والشابات فى الحجرة ، وكان اللازم الجسور يقف بجانب فتاة فى رداء أسود منحنياً نحوها وهو يبتسم ويحرك كتفيه فى رشاقة، ولا بد أنه كان يتحدث اليها فى تفاهة مسلية لاشك فان الفتاة الجميلة كانت تنظر إلى وجهه المستدير وتجيب داعماً « حقيقة!؟ » وبدأ بعضهم يدق على البيانو وكانوا فى مابو والجو جميل ومنظر أشجار الحور والورد وأزهار البنفسج يبدو رائعاً .

ودعا فون رابك فتاة طويلة نحيلة إلى الرقص ودار دورتين أو ثلاثا فى الحجرة فبدأ الرقص وتقدم لوبنكو إلى الفتاة ذات الثوب البنفسجى وقادها خلال الغرفة . ووقف ريابوفتش بجانب الباب مع الرجال الذين لا يرقصون ، يراقب ، فجاء فون رابك الابن ودعا اثنين من الواقفين إلى لعب البلياردو ، وتبعه بعض الضباط ولما كان ريابوفتش بحاجة إلى شىء يعمله وكان يرغب أن يشترك بأى طريقة فى المهرج العام فقد ذهب وراءهم . ومروا من حجرة إلى أخرى إلى أن دخلوا فى النهاية قاعة البلياردو وبدأ اللعب ووقف ريابوفتش يراقب اللعب وأنه لم يلعب فى حياته كما لم يرقص ، ولم يعره اللاعبون اهتماما ، فقط عند مايصعادم به أحدهم يقول له بأدب « معذرة » ولما انتهت الجولة الأولى بدا له بقاؤه غير مرغوب فيه فغادر القاعة .

وفى منتصف الطريق فى عودته لاحظ أنه ضل السبيل فقد وجد نفسه فى غرفه معتمة لايذكر أنه مر بها فى قدومه فمضى عائداً ثم انحرف إلى اليمين وفتح أول باب صادفه فوجد نفسه فى غرفة مظلمة وإن كان يبدو من خلال بابها حجرة أخرى وضيئة وكانت النافذة مفتوحة تطل منها أفرع أشجار الحور ويفوح فيها عبق الورد والبنفسج ، ووقف ريابوفتش مرتبكا وفى هذه اللحظة سمع وقع أقدام تقترب بسرعة ثم حفيف ثوب وصوت امرأة ينبض بالعاطفة فهمس « أخيراً ! » ثم أحس بذراعين بيضتين جميلتين تحيطان عنقه ، ووجنة دافئة على خده ثم صوت قبلة ، لكن فى الحال صرخت المرأة صرخة مكتومة وبدا لريابوفتش أنها فزعت ولقد أوشك هو أن يصيح لكنه مضى مسرعاً ولما عاد إلى قاعة الجلوس كان قلبه يدق بسرعة وبدا ترتجفان حتى أنه أخفاهما وراء ظهره وتملكه أول الأمر شعور بالخجل والعار وبدا له أن كل واحد فى الحجرة لابد يعلم أن امرأة قبلته وعانقته منذ لحظة ونظر حوله لكن لم يجد أحداً يلتفت إليه وكان كل من حوله يرقص ويغنى ؛ لذا لقد له أن يستعرض مامر به ، كان عنقه الذى أحاطت به الذراعين الناعمتين يبدو كأنه بل يزيت وعلى خده بجانب أذنه اليسرى حيث قبلته الفاتنة المجهولة شعور جميل بالبرودة كتبخر النعناع ؛ وقد ملىء من قمة رأسه الى أخمص قدمه بشعور غريب أخذ ينمو ويزداد كان يريد أن يرقص ويتكلم ويجرى فى الحديقة ويضحك بصوت عال ، ونسى شعوره بالنقص ولما مرت به زوجة فون رابك تلمحها ابتسامة عريضة جعلتها تقف وتنظر اليه فى دهشة فقال لها وهو يثبت نظارته ، إنى أحب منزلكم حقيقة! » فابتسمت السيدة وقالت ان المنزل كان لوالدها ثم مضت تسأله إن كان والداه على قيد الحياة ، وكم مضى عليه فى الخدمة وما إلى ذلك ؛ ولما مضت شعر ريابوفتش بالسرور وبأنه محـــاط بقوم كرام وابتسم، وفى العشاء أكل وشرب كل ماوضع أمامه ، ولم يسمع شيئاً مما كان يقال بل كان يفكر دائماً فى مغادرته المدينة ، لاريب أن فتاة أو سيدة قد واعدت شخصاً فى الحجرة المظلمة ، ولما كانت مضطربة لأنها أطالت الانتظار فانها أخطأت وحسبته غارسها خاصة وإنه وقف مرتبكا لدى دخوله كأنما ينتظر شخصاً . على هذا الأساس فسر ريابوفتش القبلة التى نالها ، لكن من تكون هى ! وأخذ يدقق فى ملامح الموجودات لابد أنها شاية فالعجائز لايواعدن الرجال فى الظلام !) ووقع نظره على الفتاة ذات الثوب البنفسجى بدت له جد جذابة لها كتفان وذراعان جميلان ووجه زكى وصوت جميل وقرر ريابوفتش أنها هى ولا يمكن أن تكون سواها ، لكنه لكنه وجد ابتسامتها متكلفة وكانت تحك أنفها الطويل الذى يجعلها تبدو كبيرة السن ، فنقل بصره إلى الفتاة ذات الثوب الأسود وكانت أصغر سناً وألذ بساطة ولها خدود جميلة وأراد أن تكون هى لكنه وجد ملامحها مستوية ، ونقل اهتمامه إلى جارتها ثم قال . لايستطيع المرء أن يعرف ! فلو أخذنا الذراعين والكتفين من فتاة الثوب البنفسجى والوجنات من هذه الفتاة والعينين من تلك التى تجلس إلى شمال لوبتكو ... وفى خياله وضع نموذجا للفتاة التى قبلته

وبعد العشاء ، وقد امتلأ البيوت بالطعام والشراب. شكروا مضيفهم واستأذنوا فى العودة وقال الجنرال بحرارة هذه المرة «لقد سعدت بلقياكم ياسادة (الضيوف الراحلين يعاملون بكرم أكثر من العاديين !) وأرجو أن تعيدوا الزيارة فى رجوعكم» وخرج الضباط وكل منهم يفكر هل يملك يوما مثل هذا البيت وتكون له عائلة وحديقة ويباح له أن يدعو ضيوفا ولو من قبيل المجاملة وتجاملهم يخرجون راضين مغتبطين ، ولما وصلوا الى خيامهم خلع ريابوفتش ملابسه بسرعة وذهب إلى سريره وأخذ يفكر وهو ينظر إلى السقف إنى لأعجب من تكون ! — كان شعور الزيت مازال على عنقه والاحساس بالرطوبة حول فمه وخيال فتاة، لها كتفا ذات الرداء البنفسجى ووجنات ذات الثوب الأسود وخدها وملابس تلك وجوهراتها تلوح أبداً فى مخيلته وحين يغمض عينيه يسمع الخطوات المسرعة وحفيف الثوب وصوت القبلة وشعور عميق بالسرور يتملكه لم يفارقه حتى وهو نائم.

وفى الصباح غادرت الفرق القرية ، ولما مروا بمنزل فون رابك نظر يابوفتش إلى المنزل وكانت الستائر مسدلة فلاريب أنهم مازالوا نائمين . وهى أيضاً نائمة . . . وتخيلها على فراشها وغرفة نومها ذات النافذة المفتوحة تطل منها غصون الحور وهواء الصبح المنعش ومنظر الورود والبنفسج ، والسرير ، وكرسى إلى جانبه عليه ثوبها الذى كانت ترتديه بالأمس وخفيها إلى جانبه . وساعتها على منضدة كل هذه الأشياء رآها بوضوح لكن الوجه ! كانت صورته تنزلق من خياله كالزئبق من بين الأصابع . ولما أوشكت القرية أن تختفى عن ناظريه شعر ريابوفتش بالأسى كأنه خلف فيها شخصاً قريباً اليه عزيزاً لديه ولما وصلت الفرق إلى مقصدها واستقر الضباط فى خيامهم جلس ريابوفتش مع لوسكو ومرسليكوف يتناولون العشاء وكان مرسليكوف يأكل ببطء وهو يطالع جريده على ركبتيه ولوبتكو يتكلم دون انقطاع ويمضى فى ملأ كأسه بالخمر أما ريابوفتش فكان مازال غارقا فى أحلامه يأكل فى سكون لكن بعد أن شرب ثلاثة كؤوس أمضه الصمت وشعر برغبة ملحة فى أن يفضى إلى زميليه بمواطفه الجديدة فقال وهو يحاول أن يخفى تأثره ويجعل الصوت عادياً . . . حدثت لى حادثة مضحكة عند آل رابك ذهبت إلى غرفة البليارد كما تعلمون . . .

وابتدأ يقص الحادثة بتفاصيلها ودهش إذ لم يستغرق سردها إلا وقتاً قصيراً — أقل من دقيقة — وكان يظنها تستغرق الليل بأكمله . ولما كان لوبتكو كذابا جريئاً فلم يكن يصدق أحداً لذلك ابتسم ابتسامة الشك . أما مرسليا كوف فقد رفع حاجبين دون أن يرفع نظره من الجريدة وقال . . حادثة غريبة ولا ريب . أن ترمى بنفسها فى أحضان رجل دون كلمة . لابد أن الفتاة عصبية على ما أعتقد ! . فوافق ريابوفتش قائلا . لاريب فى ذلك . . عندئذ بدأ ريابوفتش يقول . حدثت لى ذات مرة حادثة مماثلة كنت مسافراً إلى كوفنا فى العام الماضى وكنت فى الدرجة الثانية والعربة مزدحمة فاستحال على النوم . وناديت فراش القطار وأعطيته نصف روبل فحمل متاعى وأخذنى إلى عربة النوم . واستلقيت وتغطيت بملاءة ، وكان الظلام كثيفاً ، وفجأة شعرت بشخص يمس كتفى ويتنفس فى وجهى وأخرجت ذراعى وتحسست ذراعا ، وفتحت عينى فلم أكد أصدق فقد كانت سيدة بعينين سوداوين رشفتين قرمزيتين وأنف يتنفس بالحنان وصدر ناهد . . وهنا قاطعه مرسليا كوف بهدوء . . أستطيع أن أفهم أن الصدر كان ناهدا ، لكن كيف رأيت لون شفتيها وعينيها فى الظلام ؟! فأخذ لوبتكو يسخر من افتقار مرسليا كوف إلى الخيال ، وتضايق ريابوفتش وتركهما واستلقى على فراشه وعاهد نفسه ألا يكون فضفاضاً بعد الآن .

وابتدأت حياة المعسكر، وتتابعت الأيام متماثلة وكان ريابوفتش يفكر ويشعر ويتصرف كرجل يحب ، وحين يتحدث زملاؤه عن الحب والنساء كان يقترب ويستمع ويأخذ وجهه هيئة الجندى الذى يسمع قصة معركة خاض غمارها . وفى المساء إذا ما انتابه الأرق ، وفى ساعات الفراغ كان يستعيد منظر قرية مستشكو والمنزل العجيب درابك وزوجته التى تشبه الامبراطورة أوجينى والحجرة المطلة وماجرى فيها .

وفى الواحد والثلاثين من أغسطس صدرت الأوامر لفرقتين فقط بالعودة ، وكان من العائدين وفى الطريق كان مهتاجا كأنه عائد إلى مسقط رأسه ، ومرة أخرى اشتاق إلى منزل رابك ، وكان صوت داخلى (كثيراً مايخدع المحبين) يؤكد له أنه سيلقاها وبدأ يعجب كيف يحييها وماذا يقول لها ، هل نسيت كل شىء عن القبلة ، ولو حدث أسوأ ما يتوقع ولم يرها فإنه على الأقل سيمر بالغرفة المظلمة ويتذكر .

وعند الغروب بدت الكنيسة المعهودة فى الأفق ، ودق قلب ريابوفتش بسرعة ، ولم يعد يسمع حديث الضابط الراكب بجانبه ، وبشوق عظيم نظر إلى النهر يتدفق ، وإلى سطح المنزل ثم وصلوا إلى الكنيسة ، ونزلوا بالساحة وسمع أوامر القيادة وهو يتوقع من لحظة لأخرى أن يرى الفارس قادما ليدعوهم إلى بيت الجنرال ، ولكن مضى الوقت ولم يأت الفارس ... سيعلم رابك بعد قليل من الفلاحين بوصولنا وحينئذ يرسل الينا . هكذا قال لنفسه ، وشمر بالأسى واستلقى على سريره ثم قام ونظر من النافذة ليرى الفارس فى طريقه ولكنه لم ير شيئاً ثم لم يستطع كبح جماح قلقه فمضى فى الطريق متجها نحو الكنيسة ثم إلى منزل الجنرال واقترب من الحديقة وكان الظلام يلف المنزل والسكون مخيما ، وبعد انتظار نصف ساعة دون أن يسمع صوتا أو يرى شيئاً استدار عائداً ، وتوقف عند النهر ، وحدق فيه ، وكان القمر يرسل أشعة على صفحة الماء والأمواج تداعب صورة القمر كأنما تريد لتحملها إلى بعيد ، وفكر ريابوفتش « ما أحمقنى ! » ولم يعد الآن ينتظر شيئاً ، وبدت له حكاية القبلة، وقلة صبره، وآماله الغامضة وخداعه لنفسه ، بدا له كل هذا على حقيقته ؛ ولم يبد له غريبا أن الفارس لم يأت لدعوتهم ، وأنه لن يقابل الفتاة التى قبلته خطأ بدل شخص آخر ، بل على العكس يكون من الغريب أن يلقاها مرة أخرى ! وبدت له الحياة كلها مزحة كبيرة طائشة ، ورفع عينه عن الماء ونظر إلى السماء وتذكر مرة أخرى كيف أن القدر فى صورة امرأة مجهولة قد داعبه على غير انتظار ؛ واستعاد أحلام الصيف وبدت له حياته باهتة تعسة لا طعم لها .

ولما عاد إلى حيث وضعوا خيامهم لم يجد أحدا من الضباط هناك وأخبره جندى أنهم ذهبوا إلى منزل الجنرال فون رابك الذى أرسل لهم فارسا يدعوهم ، وأحس بالفرح لحظة لكنه خنق هذا الإحساس فى الحال ، وكأنما ليعاند القدر الذى أساء معاملته هكذا لم يذهب إلى منزل الجنرال بل مضى لينام .

احمد بدران

محكمة ملوى الجزئية الوطنية

اعلان بيع نشره ثانية فى القضية المدنية ٢٣٠٣ سنة ٩٣٦

انه فى يوم الأحد ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٠ من الساعة ٨ افرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى المحكمة

سيباع بطريق المزاد الجبرى العقارات الآتية بعد الكائنة بزمام البركة مركز ملوى ملك تمرهان بنت على حسن شاهين المتوفاة وحل محلها على افندى مصطفى حزاوى من المنشاه مركز ملوى وبيان العقار

١٥ ط بحوض البرامونيه ١ ضمن القطعة ١ بزمام البركة مركز ملوى مديرية أسيوط الحد البحرى حسين على ضمن القطعة بطول ١٢٤½ قصبه بعد استبعاد ٨ قصبه من الجهة الغربية البحرية والشرق عبر ترعة البدرمان ١ عمومى بطول ١١٧ر٢٤ قصبه بعد ترك ٨ قصبه من الجهة الشرقية البحرية والقبلى تمرهان بنت على حسن ضمن القطعة بطول ١٢٤½ والغربى فاصل زمام السواهمية بطول ١١٧ر٢٤

١٥ ط فقط خمسة عشر قيراط

وهذا البيع بناء على طلب وصيفه بنت محمد منصور عن نفسها ووصية على ابنها القاصر كامل مهنى محمد جابر من السواهمية مركز ملوى المتخذة لها محلا مختارا مكتب حضرة الأستاذ عبد القادر افندى احمد ادريس المحامى بملوى

وبناء على حكم نزع الملكية والترخيص بالبيع الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٠ وسجل بقلم كتاب محكمة المنيا الابتدائية الوطنية فى ١٢ ـ ١١ سنة ١٩٤٠ ، ١٦ ـ ٩٤١ موفاة لمبلغ ٤٣١٩ر٢٠ والمصاريف

وهذا البيع قسما واحدا ويفتح مزاده على مبلغ ٨٠ ج ثمانون جنيها مصريا

وكان محددا للبيع يوم ١٢ ـ ١ سنة ١٩٤١ وبها أوقفت الدعوى حتى الفصل فى دعوى الاستحقاق المرفوعه من مجلى مينا وقد فصل فيها بالرفض فى القضية ٢٠١٩ سنة ١٩٤١ وتأييد استئنافيا فى القضيه ٢٠٤ سنة ١٩٤٢ من المنيا وتحدد أخيراً للبيع يوم ١١ ـ ١ ـ ١٩٤٨ للنشر وبها تأجلت لجلسة ٢١ مارس سنة ١٩٤٨ لإجراء النشر قانونا وبها أستعيدت من الرول للنشر وتحدد للبيع أخيراً يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٠

جميع الأوراق وشروط البيع مودعه بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها فمن يرغب الشراء عليه الحضور فى الزمان والمكان المحدودين أعلاه ومن يرسى عليه الشراء يدفع الثمن فورا وإن تأخر ميعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق إن حصل .